



\* نجيب كيالي

ترتمي فتحية في فراشها حائطاً من تعب!  
أنغام شخيرها: (قرقرة، خرخرة، ضجيج)، ينقلب السلم الموسيقي أحياناً  
إلى: (ضجيج، خرخرة، قرقرة). الأنغام تؤكد ما تعانیه أثناء النهار بين خدمة  
الأولاد والخدمة في بيوت الناس!  
رؤوس أصابعها مسلوخة، منها تخرج الحكايات المرّة.

✿ أديب وقاص سوري.

✿ العمل الفني: الفنان موفق مخول.

الحكايات المخبأة في الأصابع

كانت منشغلةً تردد بينها وبين نفسها:  
سأحكي.. سأحكي.

ثم ارتفع صوتها: نعم سأحكي،  
سأحرجهم!

فجأة سمعت وراءها صوتاً رقيقاً يسأل:  
ماذا ستحكين؟

التفتت، رأت على الدرب هواء الليل  
يقترّب منها، لاحظ أنها مضطربة، فمرّ  
بيده على صدرها، رفّ حولها رفيفاً لطيفاً،  
ثم دعاها للجلوس على حافة الطريق لتخبره  
بمشكلتها.

أخبرته الحكايات غاضبة: أنها خرجت  
من أصابع امرأة حالتها تُبكي الحجر  
الصوان، لكنّ أحداً لا يفعل شيئاً من أجلها،  
فقررت هي أن تفعل..

ستذهب إلى إخوة فتحية، تدق أبوابهم،  
تدخل عليهم كزوبعة، تسألهم: هل تعرفون  
كيف تعيش أختكم بعد المرحوم زوجها؟

للحكايات معرفةً جيدة بهؤلاء الإخوة،  
لذا فهي تتوقع كيف سيتصرف كل منهم..  
أسعد أصغرهم الملقب بـ(الدبّور) سيضيّق  
عينه، يزيد ويرغي، ويحاول طردها معتبراً  
أنها تتدخل فيما لا يعنيها. أوسطهم صالح

تمشي الحكايات بحذر في الغرفة قرب  
الأولاد الخمسة الذين تربيهم فتحية، تتسلل  
من النافذة، تتحرك في الزقاق الضيق  
حيث تعيش المرأة التي تجاوزت الأربعين،  
تنتقل في دروب مدينتها الخضراء أم التين  
والزيتون.

ينظر الليل إلى الحكايات وتتنظر إليه،  
يتمائل أمامها صف من الأشجار في حركة  
حلوة كحركة العرائس غير أنها لا تشعر  
بالراحة.

تسألها المصاييح: لماذا خرجت؟!  
هل ستذهبين إلى الصيدلية لتشتري  
مرهماً لأصابع فتحية المسلوخة؟  
هو هووه. الصيدلية مغلقة الآن، وأظنك  
لا تحملين نقوداً.

هل ستذهبين إلى أحد المقاصف التي  
بدأت تنتشر في مدينتنا حيث الجو عامر  
بالأكل والرقص والبهجة، فتأخذين قبسةً  
من الفرشاة تحملينها لقلب فتحية؟

ماذا ستفعلين؟ قولي لي ماذا ستفعلين؟  
فتيل من النار مشتعل في صدر  
الحكايات، تزيده سخرية المصاييح اشتعلاً،  
لكنها لا تردّ.



ذو الحنك الرخو سيتظاهر بالمرض ويعجزه عن أخذ الكلام ورده. أما كبيرهم غازي الذي تبقى السجارة مغروسة في زاوية شفثيه فسيحكي بضم مائل وفوق وجهه كمشة من الدخان: تسأليننا كيف تعيش فتحية؟ تعيش في بيتها معززة ومكرمة.

ستضحك الحكايات، تتحول إلى ناي حزين، تقول:

- آه.. حقاً هي معززة ومكرمة! لا.. لا.. عزها فوق الوصف.. فوق الاحتمال تأخذه من ليفة الجلي وممسحة

البلاط حيث صارت تعمل خادمة في بيوت الناس من طبقة الأكابر حديثي النعمة! ...و

- سيقاطعونها مندهشين أو متظاهرين بالدهشة:

- كلامك عجيب!

- الأعجب منه يا سادة ما جرى اليوم، وهو ما جعلني آتي إليكم كالمجنونة..

لقد تخلت السيدة التي تعمل في بيتها عن خدماتها، وبدلاً منها -حسب موضحة الخادومات - ستأتي بفيليبينية!

ماذا سيحدث بعد ذلك؟ قد يشتمها الإخوة، وقد يدفعونها نحو الباب متهمين إياها بالكذب، وقد يزفر أحدهم قائلاً:

- تريدن أن نساعدن؟ من قال لك:

إننا نتأخر لو كنا قادرين على ذلك؟! هي أختنا ونور عيوننا، لكن أحوالنا على قدها.

الذنب ذنب زوجها كان كسولاً ولم يحسب حساب المستقبل!

- هنا ستحول الحكايات إلى نور أزرق يدور دورةً خاطفة في فضاء الغرفة كالشهاب، ثم تهتف بهم:

- أيها الطيبون لا تُخرجوا شيئاً من جيوبكم. يكفي أن تعيدوا لأختكم ما أخذتموه منها. لا تظنوا بأني لا أعرف، أنا أعرف كل شيء.

بعد هذا التهديد ستجعل الحكايات من نفسها جرساً، يحاصر برناته رؤوس الإخوة، ستذكرهم بما فعلوه بأختهم..

عند موت أبيهم ترك ثروةً طيبة، مدَّ قانونُ الإرث يده ليقسم الثروة إلى سواقٍ، في الساقية المتجهة إلى فتحة كان هناك مئتان من شجر الزيتون. مئتان بالتمام والكمال.

لكنَّ الإخوة رفعوا رؤوسهم، فوجدوا فوق الحائط لوحةً عتيقةً باهتة، مكتوباً عليها:

(البنات لا يرثن من الأرض). أعجبتهم اللوحة جداً، نقضوا عنها الغبار، باسوها، نصبوها في وسط الغرفة، ومن حولها طافوا كطواف العابد القديم حول الوثن! ثم عملوا بما جاء فيها!

الحكايات المخبأة في الأصابع

قبل أن يصحو الإخوة من دهشتهم أمام المعلومات الدقيقة التي يسمعونها، ستقلهم الحكايات إلى مدار آخر.. ستوجه إليهم هذا السؤال: هل تذكرون هذه الأغنية:

(نام يا روي نام/ لا بعتك طير الحمام/ يغيلك ويهدلك لتنام)؟

ستضيف الحكايات: كان هناك بنت صغيرة طيبة تكبر إخوتها الصبيان الثلاثة، تساعد أمها في أخذهم إلى النوم، فتغني لهم هذه الأغنية. سأترك لكم أن تحزروا اسمَ البنت واسمَ إخوتها، وكيف ردَّ هؤلاء لها الجميل عندما صاروا كباراً.

بعد هذا ستركهم وتخرج، لن تنتظر إجاباتهم.. ستدعهم أمام تيارات من الدهشة والحرقة والذكرى.

حين أنهت الحكايات حديثها ابتسم هواءً الليل بمرارة، بلع غصةً كبيرة، قال:

- وهل تظنين أن الإخوة سيكسرون اللوحة، ويعيدون لأختهم حقها؟ أم.. أنصحك أن تعودى. هذه حالة صعبة.

صرخت الحكايات:

- لن أعود.. أبداً لن أعود.

نهضت، تابعت السير باندفاع، وصلت

الحكايات المخبأة في الأصابع

ماذا لو عرفت فتحية بما قامت به؟ صحيح أنها منهكة حتى العظم، لكنها لا تقبل أن يتصرف أحد بالنيابة عنها. هي صامته، صمتها حزين مخيف، قد ينفجر ذات يوم، فيزلزل ويدمر.

خفضت الحكايات رأسها، تنهدت قبل أن تعود، سلكت في عودتها الطريق الذي جاءت منه. أثناء العودة التقت بحكايات كثيرة مثلها، بعضها خرج من الأصابع، بعضها خرج من القلوب الذبيحة، بعضها خرج من عيون عز عليها النوم، تبادلت الحكايات النظر، وتابعت طريقها دون أن يشعر بها أحد.

إلى بيت (الدبور) صغير الإخوة، تقدمت من الباب، لكن خطاها انكشيت بغتة، ثم تراجع قائلة لنفسها: إنه مجنون. الأفضل أن أذهب إلى أوسطهم.

أمام بيت الأوسط ذي الحنك الرخو ترددت أيضاً، فخير لها أن تذهب إلى كبيرهم غازي ليجمعهم في مكان واحد، ثم تقول لهم ما في نفسها.

بخطوة ثابتة اقتربت من بيت الكبير، صورة فتحية لا تفارقها، ما سيجري لها بعد أن أصبحت بلا عمل يزيدا إصراراً. اقتربت أكثر، وضعت إصبعها على جرس الباب، لكنها فجأة انسحبت إلى الخلف:

